Université Saint-Joseph de Beyrouth
جامعة القديس يوسف في بيروت

كلمة رئيس الجامعة، البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ

بعد ١٤٠ سنة على تأسيسها (١٨٧٥–٢٠١٥) :

جامعة القدّيس يوسف وتحدّياتها

لمناسبة عيد القدّيس يوسف، شفيع الجامعة

يوم الخميس ١٩ آذار (مارس) ٢٠١٥

على مدرّج جان دوكروييه اليسوعيّ

في حَرَم العلوم والتكنولوجيا – مار روكز

أصحاب السعادة،

أصحاب المعالي، حَضْرة الوزراء والنوّاب،

حَضْرة رؤساء الجامعات في لبنان،

حَضْرة رؤساء جامعة القدّيس يوسف الفخريّين،

حضرة الأب والرئيس العامّ الإقليميّ للرهبانيّة اليسوعيّة في الشرق الأوسط والمغرب،

حَضْرة السيّدات والسادة، رؤساء المنظّمات والجمعيّات المهنيّة،

حَضْرة السيّدات والسادة، أعضاء المجلس الإستراتيجيّ في الجامعة،

حَضْرة السيّدات والسادة، نوّاب الرئيس والأمين العامّ، والعمداء والمدراء والمديرات،

حضرة رئيس مستشفى أوتيل ديو دو فرانس،

حضرة رئيس اتّحاد رابطات الطلاّب القدامى في جامعة القدّيس يوسف،

حَضْرة السيّدات والسادة، رؤساء رابطات القدامى الخرّيجين،

حَضْرة السيّدات والسادة، ممثّلي هيئة الخدمات العامّة،

حَضْرة السيّدات والسادة المعلّمين،

حَضْرة السيّدات والسادة الطلاّب،

حضرات الزملاء والأصدقاء،

(التمهيد)

١. مع حلول السنة ١٤٠ على تأسيس جامعتنا، جامعة القدّيس يوسف، يخالجني شعور بهذا الفرح النابع من أعماق النفس، الفرح بأن أرحّب بكم على هذا المدرّج الذي أصبح يحمل بعدًا رمزيًّا بعد تسميته باسم رئيس الجامعة الأسبق المقدام، الراحل الأب جان دوكروييه Ducruet، الذي ندين له بجامعة القدّيس يوسف الجديدة، بشرعتها التي نُشِرَت في العام ١٩٧٥، منذ ٤٠ سنة، في وقتٍ لم يكن كثيرٌ من الأشخاص في لبنان وفرنسا يؤمنون ببقاء الجامعة واستمراريّتها. فعندما نحتفل بذكرى التأسيس مرّة أخرى، نتوجّه إلى القدّيس يوسف، شفيعنا، في عيده، لنطلب إليه رعاية الأسرة الجامعيّة الكبيرة. عندما تولّى البابا فرنسيس السدّة البابويّة في مقرّ القدّيس بطرس بروما، يوم عيد القدّيس يوسف منذ عامين، أكّد كيف أنّ "يوسف كان منفتحًا على علامات الأزمنة، مصغيًا إلى الله، وجاهزًا لتحقيق مشروعه". فعلى مثال يوسف، "هو يدعونا إلى أن نكون أوصياء على الآخرين وعلى العالم والخلق، ونتحمّل مسؤوليّتنا، لأنّ كلّ شيء موكل إلينا من الله" بروح الحكمة – التي نحن بحاجة إليها – والتي ميّزت يوسف، وجعلت يسوع ينمو في القامة والحكمة أمام الله والناس.

المقدّمة

٢. "من أجل بناء المستقبل، يجب أن نتطلّع إلى التاريخ أيضًا". هذا ما كتبه الكاردينال زينون غروشولفسكي Zénon Grocholewski، مدبّر المجمع الرومانيّ الخاصّ بالمدرسة الكاثوليكيّة. إنّ تذكّر الأصول ليس من سمات عمل المؤرّخ : فواجب الذاكرة هذا هو مطلب الجميع. يُفترض في الواقع أن نعرف جذورنا الخاصّة لنكون على بيّنة من أنّنا، في حالتنا، لسنا مجرّد جامعة بين الجامعات الأخرى، ولكنّنا هذه الجامعة، مع ما شكّل ويشكّل بطريقة ما "روحها الخاصّة". لا تزال هذه النظرة إلى التاريخ تحدّيًا نواجهه : الأمر لا يتعلّق بالنظر إليه لنشعر بالافتخار، ولا باستخراج بعض الصفحات المشوّشة أو، بطريقة نفعيّة، أن نستخلص منه دروسًا من الماضي مفيدة من أجل استمراريّة المؤسّسة. فإعادة قراءة تاريخ مؤسّسة مثل جامعة القدّيس يوسف، هي شرط أخلاقيّ يجعلنا

نقول إنّ ما نعيشه في الوقت الحاضر، يتأصّل في تاريخ طويل منذ أكثر من قرنٍ ونصف. ولنعترف بالعمل الجادّ ذي الرؤية الواضحة في تأسيس الجامعة وإعادة تأسيسها، وفي التحدّي المتمثّل بالتكيّف والتوجيه، من أجل أن **تكون الرغبة في تحقيق الرسالة**، في مجال التعليم النبيل، مرضيةً وتمّ إنجازها. تاريخنا، لا بل ما قبل تاريخنا الجامعيّ، مفعم بتلك التحدّيات التي تحثّ على تحقيق رسالةٍ صعبة المنال، من أجل أن ندافع عن قيمة أُعطيناها ونسبغ عليها معنًى في أصعب الأوقات. نحن لسنا أبناءَ اليوم، لقد جئنا إلى العالم، نحن أعضاء الجامعة، يومَ ولدت فكرة إنشاء جامعة القدّيس يوسف العام ١٨٣٩ ويومَ تأسيسها العام ١٨٧٥، وهكذا نحن على استعدادٍ دائم لبناء مستقبلها.

٣. نحن على استعداد لبناء مستقبلها، كما قلتُ، وبالتالي أن نتحمّل معًا التحدّيات الحقيقيّة والشاقّة التي يجب أن نواجهها، بهذا الروح الحسّيّ من المشاركة الذي يميّزنا اليوم على مستوى إدارة جامعة القدّيس يوسف. لهذا السبب، سنسعى إلى البحث معًا، في ماضينا البعيد والحاليّ، عن لحظاتٍ تجرّأ فيها المؤسّسون، وأولئك الذين أعادوا التأسيس، على مواجهة التحدّيات الوجوديّة والمصاعب بشجاعة، وإيجاد الحلول المناسبة لها عن طريق إنماء هويّتنا. أؤكّد لكم أنّنا سنغرف منها دروسًا بليغة لإعادة شحن الموارد وفتح آفاق هذه الفترة التي عرفتها جامعة القدّيس يوسف وعرفها لبنان. أتذكّر كلمة الكاردينال نصرالله صفير وقد قالها لي يومًا : "هويّتنا هي جذورنا الحيّة التي تتوغّل في الماضي وتحيا في الحاضر. يجب، بين الوقتِ والآخر، أن تتسلّحوا بالشجاعة لتنهلوا من مواردها وتزوّدوها الماء فتعطيكم منها الأضعاف." (إعلان، **أعمال السينودس البطريركيّ المارونيّ**، ٢٠٠٣). كلمتي موزّعة على ثلاثة أقسام :

القسم الأوّل : التحدّيات التاريخيّة لتأسيس الجامعة في العام ١٨٧٥. لماذا تأسّست جامعة القدّيس يوسف ؟

القسم الثاني : تحدّيات البقاء والتوحيد عن طريق شرعة الجامعة في العام ١٩٧٥.

القسم الثالث : تحدّيات الابتكار وبناء المستقبل.

القسم الأوّل : التحدّيات التاريخيّة لتأسيس الجامعة في العام ١٨٧٥، لماذا تأسّست جامعة القدّيس يوسف ؟

٤. أيّها الأصدقاء الأعزّاء، بين شارع پول هوڤلين (علمانيّ من مدينة ليون الفرنسيّة وصديق كبير لليسوعيّين) شارع كليّة الحقوق التي كان أحد مؤسّسيها، وشارع أمبرواز مونّو (أحد الآباء اليسوعيّين المؤسّسين)، وشارع جامعة القدّيس يوسف، وُلد حلم العام ١٨٣٩ للأب اليسوعيّ ماكسيميليان ريللو، أو أبونا منصور – الذي كان يعتمر دائمًا كوفيّة على الطراز الشرقيّ – بتأسيس "مدرسة آسيا المركزيّة"، وقد أصبح هذا الحلم واقعًا ملموسًا في العام ١٨٧٥ بإنشاء جامعة القدّيس يوسف. إذا كانت هذه المدرسة قد أُنجِزَت بإرادة أشخاص، فهي لم تكن رغبةً بشريّة فحسب، بل رغبة مقدّسة في الرسالة التي تكمن في "فعل الخير" - كما كان يقول الأب الرئيس غريسيان Gressien في العام ١٩٠٧ — وجعله يشعّ مؤسَّسةً ذات طابع مزدوج : يسوعيّ وفرنسيّ. الرغبة في الرسالة كانت تسيّر هذا العمل.

٥. فلنعد إلى الوراء قرنًا ونصف، أيْ ١٨٣٩ وقد تميّز ببداية إقامة اليسوعيّين في جبل لبنان. من بينهم تميّزت شخصيّات أمثال بنوا بلانشيه Benoît Planchet، وبول ريكادونا Paul Ricadonna وماكسيميليان ريللو Maximilien Ryllo رئيس الرسالة اليسوعيّة، وكانت رغبته في تأسيس "مدرسة آسيا المركزيّة" وهي مزيجٌ من معهد جامعيّ ومدرسيّ، تتطابق مع إرادة المجمع الرومانيّ لنشر الإيمان في إنشاء كليّة من أجل تنشئة النخبة الكنسيّة المارونيّة والكاثوليكيّة. أمّا ماكسيميليان ريللو الذي كان على معرفة بالقناصل الفرنسيّ والنمسويّ والبريطانيّ، وكذلك بالسلطات العثمانيّة والأمير بشير والأمير حيدر الشهابيّ، فقد جاهد أثناء أشهر طويلة لإقناعهم بصوابيّة مشروعه المتمثّل بإقامة هذا المعهد الجامعيّ المفتوح للجميع حيث هناك إكليريكيّة شرقيّة كبيرة للاهوت ومعهد جامعيّ للفنون والعلوم ومزرعة زراعيّة تطبيقيّة، في بيروت نفسها (التي لم تكن في تلك الفترة إلا قرية)، مفكّرًا في تشييدها في سهل البقاع، منتهزًا فرصة الترقّب والحَذَر لرؤية ما سيجري بين بلدانٍ عدوّة وشعوب متخاصمة، قبل الحرب التركيّة المصريّة، إلى جانب احتلال الفرنسيّين والبريطانيّين

مصر في العام ١٨٤٠. كتب ريللو إلى رئيسه في روما ليقنعه بِ"وجوب الاستفادة من حالة الحَذَر هذه" عند كلا الطرفين من أجل وضع أسس المدرسة. لقد سبقت الحرب التي اندلعت بسرعة تاريخ إرسال طلبه، ولم يستطع بلوغ هدفه. ولكن بدل أن يستسلم للهزيمة، توجّه إلى جانب المنتصر العثمانيّ في حرب ١٨٤٠، معتقدًا أنّه سينجح حين يلتمس من العثمانيّين هذا الطلب بعدما أسرّ به إلى أحد أصدقائه في القسطنطينيّة. في الواقع لم يظهر الفرمان، وفكرة إنشاء كليّة ببيروت عُلِّقت مع رحيل ريللو البولونيّ من بيروت في العام ١٨٤٢، بعدما تعرّض للشكّ في أنّه أشعل نيران تمرّد في جبل لبنان ضدّ الفرنسيّين والبريطانيّين. ولكنّ رفيقه، الأب بلانشيه Planchet، دافع عنه وقرّر، في العام ١٨٤٣، أن يؤسّس الإكليريكيّة ومدرسة ثانويّة في أحد القصور المهجورة للشهابيّين، في غزير، حيث دفع أموالاً بالغة إلى مالكها القديم. عُمِّدت الإكليريكيّة باسم القدّيس يوسف، الشفيع المستقبليّ للجامعة وكذلك المدرسة الثانويّة، وكلاهما فتحت أبوابها بسرعةٍ وأصبحت مرجعًا لامتياز التربية الدينيّة والدنيويّة اللتين كانت تدرّسهما.

(**Verdeil**, **revue Cahiers de la Méditerranée**, **75**, **2007**, **pp**. **28–38 ; Libois**, **la Compagnie de Jésus**, **117**).

(فرداي، مجلّة دفاتر البحر الأبيض المتوسّط، ٧٥، ٢٠٠٧، ص ٢٨–٣٨ ؛ ليبوا، جمعيّة رفاق يسوع، ١١٧).

٦. على كلّ حال، ظلّت بيروت الوجهة المفضّلة لليسوعيّين في المنطقة، لأنّ هذه المدينة كانت محطّ الأنظار، ووسّعت مرفأها وأصبحت، في ذروة مقامها، مقرّ السلطات العثمانيّة والقنصليّة والبروتستانت الإنجيليّين الأميركيّين الذين كانوا قد بدأوا فتح المدارس والمستوصفات فيها. أمام هذا الوضع القائم، لم يبقَ اليسوعيّون مكتوفي الأيدي لأنّ مبادراتٍ عدّة اتُّخِذَت بين العام ١٨٤٥ و١٨٦٦ : في بادئ الأمر، فُتِح مقرّ للآباء على الشاطئ، ثمّ، علامةً على إرادتهم في التحدّي، بُنِي مقرّ أكبرُ على قطعة أرضٍ بقرب السراي الصغير للحاكم، ولكن، على سبيل الطُرفة، هذا المقرّ كان بمحاذاة الحيّ ذي الشهرة العاطلة لجهة ساحة الشهداء، ممّا جعل الأب بلانشيه Planchet الذي

أصبح رئيسًا، يبني برجًا عاليًا للكنيسة لإبعاد الأرواح الشرّيرة عن جماعته. مبادرتان أخريان ميّزتا هذه الفترة وبيّنتا كيف أنّ اليسوعيّين كانوا يهيِّؤون لمجيئهم إلى بيروت : فقد تأسّست ثلاث مدارس فيها وفي كلّ مرّة كانت المدرسة تبنى أمام مدرسة أسّسها البروتستانت البيبليّين. وقد أُنشئت المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت العام ١٨٤٧ وتزوّدت آلاتٍ تدور على المحرّك في العام ١٨٥٢، ممّا سمح بنشر عدّة كتب في السنة، إذ إنّ الكتاب الأوّل الذي طبعته والذي ما زال يُطبع حتّى اليوم هو "الاقتداء بالمسيح" (**خوري Kuri، تاريخ لبنان *L'histoire du Liban*، ٥٢٦**). هذه السلسلة من المبادرات كانت بطبيعة الحال تهيّئ الأرضيّة لنقل إكليريكيّة القدّيس يوسف من غزير إلى بيروت على الأرض التاريخيّة الجديدة لكنيسة مار يوسف. كان ظِلّ ريللو Ryllo يخيّم على ذلك المكان باعتبار أنّ مدرسة للفنون والمهن، وإن كانت ابتدائيّة، تمّ إنشاؤها فيه، علامة أنّ التحدّيات لم تكن حروفًا ميّتة، بل كان بالإمكان أن تُواجَه من قِبَل رفاق آخرين، "فمدرسة آسيا المركزيّة" التي أصبحت جامعة القدّيس يوسف لم تكن تحدّي رجل واحد، بل تحدّي جماعة تحرّكها روح نبويّة. فالرغبة في الرسالة هي رغبة جماعة، ليست دينيّة فحسب، بل رغبة حقيقيّة يتقاسمها ويشارك فيها كلّ أفراد المؤسّسة الواحدة.

٧. توالت السنوات وتراكمت وكذلك التحدّيات، وأوّلها كان الحصول على امتياز الجامعة من الكرسيّ الرسوليّ، حيث لم تتمكّن الجامعة من الحصول على الإذن الرسميّ بمنح الجوائز الأكاديميّة إلاّ في العام ١٨٨١، بفضل قرار البابا ليون الثالث عشر وإرادة الأب ريمي نورمان. التحدّي الروماني تمّ تخطّيه لحسن الحظّ، ولكنَّ تحدِّيًا جديدًا تمّت مواجهته مع إنشاء المدرسة الفرنسيّة للطبّ في قلب جامعة القدّيس يوسف : كيف كان يمكن رهبنةً دينيّة يسوعيّة وكاثوليكيّة أن تعمل مع السلطات الفرنسيّة العلمانيّة المناهضة للإكليروس، والتي كانت قد طردت اليسوعيّين من فرنسا في العام ١٨٨٠ وتصبح ناقلةً للثقافة الفرنسيّة ؟ أحد رؤساء جامعة القدّيس يوسف الذي عرض هذه المسألة قبل الرئيس جان دوكروييه، هو الأب هنري غريسيان Henri Gressien في تمّوز ١٩٠٧، بضع

سنوات قبل تأسيس المدرستَيْن الفرنسيّتين للحقوق والهندسة (**Gressien**, **Discours du lundi 1907**, **Archives du rectorat**)

(غريسيان، خطاب الإثنين ١٩٠٧، أرشيف رئاسة الجامعة).

٨. ماذا يقول لنا الرئيس، الأب غريسيان، عن رسالة الجامعة، في أثناء تسليم جوائز نهاية العام الدراسيّ الثاني والثلاثين بعد التأسيس، نشاطًا تربويًّا على المستوى، مدعومًا من فرنسا وخصوصًا تجاه المدرسة الثانويّة وكليّة الطبّ؟ في رأي الأب غريسيان Gressien، "نشأت جامعة القدّيس يوسف من فكرة مسيحيّة جدًّا وفرنسيّة بامتياز : عمل الخير. "عمل الخير" هذا ما أراده المسيح حين مرّ على هذه الأرض من الشرق، مباركًا الأطفال ومخلّصًا النفوس ... "عمل الخير" هذا ما أرادته فرنسا دومًا، المعتادة على أعمالها الكريمة." في الواقع، كان الأمر في ما خصّ اليسوعيّين والفرنسيّين يتعلّق بالدخول في صراع مع البروتستانتيّة الأنغلوساكسونيّة والأميركيّة القائمة من خلال مطبعة عربيّة أُنشئت منذ العام ١٨٢٠ في مالطا، ومن خلال الإرساليّات الإنجيليّة البروتستانتيّة في الشرق الأوسط، وهذا الصراع كان هدفًا مشتركًا لفرنسا ولليسوعيّين باسم الكاثوليكيّة، مخافة أن تتفوّق الثقافة الأميركيّة على الثقافة الفرنسيّة وتجعل إشعاعها يخبو. "ما هو عمل هذه المؤسّسة اليسوعيّة والفرنسيّة ؟" كان رئيس الجامعة يوضح فكرته ذات البعد الإنسانيّ في ما يلي : فعل الخير هو في الواقع تربية وتكوين أشخاص، أيّ أخذ الأطفال وتنشئة مقدرتهم الفكريّة والعاطفيّة ووعيهم وإرادتهم من دون إهمال تزويدهم التربية الجسديّة، وجعلهم يتعوّدون التصرّفات الحميدة حتّى يصبحوا رجالاً مكتملين. الغرض من ذلك هو وضع الأطفال عند مفترق طريق الحياة التي يطيب لهم اختيارها، مزوّدين سلاحَ العلم بغية اجتياز طريق القيام بواجبهم." وهو يضيف : "ما هو الخير الأفضل الذي يمكن أن نقوم به للعالم؟" من هنا كلّل الله عمل الخلق الرائع (قائلاً) : لنصنع الإنسان، الإنسان الذكيّ والكفوء، الإنسان الأخلاقيّ والمثقّف، الإنسان الذي يجمع الثقافة الدنيويّة إلى الثقافة الدينيّة، الكاهن الفاضل في سعيه إلى خلاص النفوس، والإنسان الطبيب المهنيّ الذي يعمل من أجل راحة البشريّة المتألّمة، هذا هو عمل جامعة القدّيس يوسف، وهو عمل لم يكن لينجح "لو لم يعطِ اللهُ البابا ليباركه وفرنسا

لتحتضنه تحت رايتها"، بحسب كلام غريسيان نفسه. فكرة الأب غريسيان هذه تستدعينا هنا للتوقّف على ثلاثة عناوين :

٩. في بادئ الأمر، نحن نعتبر أنّ طريقة تصرّفنا وأهدافنا التربويّة في جامعة القدّيس يوسف ترجع حتّى اليوم إلى الفلسفة الإنسانويّة الشاملة (humanisme global) التي تختصّ بتنشئة كلّ إنسان وتربيته. فرسالة جامعة القدّيس يوسف تكمن في تنشئة إنسانيّة الإنسان وقدراته. ما يهمّنا اليوم وغدًا هو تنمية كلّ إنسان ونموّه لكي يبلغ القدر الكامل من الانفتاح على الآخر، جاره، أكبيرًا كان أو صغيرًا، غنيًّا أو فقيرًا، وعلى الله، مصدر حياته. هذه هي باختصار الفلسفة الإنسانويّة التي ترشد اليسوعيّين في مدارسهم وجامعاتهم، فلسفةٌ تستوحي مبادئها إلى حدّ بعيد من الفلسفة والثقافة الفرنسيّة على مرّ العصور.

١٠. ثانيًا، إنّ إلهام رئيس الجامعة الأب غريسيان، في منحاه العمليّ وطابعه الفلسفيّ الإنسانويّ وشبه الروحيّ البليغ، والذي وُضع حيّز التنفيذ في العام ١٩٠٧، لم يكن كافيًا، بعد مرور بضع سنوات، أي في العام ١٩١٣، حين تعلّقت المسألة بتقاسم السلطة من أجل إقامة الأُسس، في سياق ضعف الإمبراطوريّة العثمانيّة، أسس إنشاء مدرستَي الحقوق والهندسة : المشاركون من "ليون" كانوا يريدون فرض إرادتهم السياسيّة في إدارة المؤسّستين بغية التأكّد من تعزيز الوجود الثقافيّ والاقتصاديّ الفرنسيّ، الأمر الذي رفضه اليسوعيّون. وكان لا بدّ من صبر پول هوڤلين وذكائه، وهو محاور معروف من الطرفين، لكي يتمّ إيجاد حلّ يعطي اليسوعيّين الحقّ في الإشراف والمراقبة، والمستشارين الفرنسيّين الحقّ في تعيين مدراء يضمنون الوجود الثقافيّ والعلميّ الفرنسيّ. وقد كان إلهام الرئيس غريسيان نفسه غير فاعلٍ تقريبًا إبّان بعض فترات الانتداب الفرنسيّ في لبنان وسوريا حين أصدر المندوب السامي قرارًا – بحسب كتاب **"صورة جامعة"** – لوضع الجامعة مباشرةً تحت وصايته، على أنّها جامعة فرنسيّة في بيروت، تاركًا لليسوعيّين كليّة اللاهوت فقط من باب التعزية. من أجل طمأنتكم، لم تدم الوصاية، ولم تكن إلاّ غيمة صيف عابرة، فالمندوب السامي تراجع عن قراره لأسبابٍ تتعلّق بوطأة الميزانيّة غير المحتملة، لا بل بالأحرى على إثر تدخّل وزير الشؤون الخارجيّة الفرنسيّ لصالح اليسوعيّين.

١١. ثالثًا، لم يكن أمام أنصار الجامعة إلا حلّ واحد فقط، وهو البدء أثناء السنوات الأخيرة من الانتداب، بـ"لبننة" الجسم الطلاّبيّ وأعضاء هيئة التدريس، والبرامج الأكاديميّة، على الأقلّ جزئيًّا، بدءًا بكليّة الحقوق، والحصول على اعتراف من السلطات اللبنانيّة. وكان رئيس الجمهوريّة اللبنانيّة مدعوًّا إلى ترؤّس الاحتفالات الرسميّة للجامعة، حتّى لو بقيت إحدى مهامّ الجامعة خدمة الثقافة الفرنسيّة. بدأت "اللّبننة" منذ العام ١٩٤٥ بنسبة متزايدة من اللبنانيّين في الجسم الطلاّبيّ، ومن ثمّ، ابتداءً من العام ١٩٥٠، من خلال الزيادة في عدد المعلّمين اللبنانيّين. "في الستّينيّات، امتدّت اللّبننة أيضًا إلى "المسؤولين في جامعة القدّيس يوسف"، أمثال جوزيف نجّار في كليّة الهندسة ببيروت ESIB، والأب سامي خوري في كليّة الحقوق العام ١٩٥٩، والأب عبد الله داغر رئيسًا للجامعة العام ١٩٦٥، أوّل لبنانيّ في تاريخ المؤسّسة (**إدّه، جامعة القدّيس يوسف، صورة لجامعة، ص. ١٣٦**). ولكن في ما خصّ اليسوعيّين، كان لا بدّ من أن يستمرّ الرابط الدائم بين الجامعة وفرنسا : لم يكن من الممكن أن يقتصر هذا الرابط على استخدام الفرنسيّة وحدها لغةَ التعليم. فهو متعلّق ولا يزال متعلّقًا بمكانة الثقافة الفرنسيّة في الجامعة ودور هذه الثقافة في أن تولَى الأهميّة اللازمة. فوفقًا للأب دوكروييه Ducruet، في كتابه : **تاريخ الكليّات الطبّية في جامعة القدّيس يوسف،** "في ما خصّ جمعيّة الآباء اليسوعيّين، فاختيار الفرنكوفونيّة في محيطٍ جامعيّ"، مثل جامعة القدّيس يوسف، "هو خيار للمستقبل، ولكنّه أيضًا ولاءٌ للماضي"، لأنّ اللّغة الفرنسيّة كانت في الواقع قد اعتُمِدَت في مدرسة غزير العام ١٨٤٣، وهو العام الذي أُلحقَت فيه المنطقة اليسوعيّة في الشرق الأوسط بإقليم "ليون". وهو يشير إلى وجودٍ دائم لـ"اختلافٍ عميق بين التصوّر الفرنسيّ اللاتينيّ والتصوّر الأنغلوسكسونيّ لمستقبل لبنان وبعده الداخليّ الجغرافيّ." كلّ هذه التباشير المنبئة كوّنت الأفكار الأساسيّة في النظرة المستقبليّة إلى جامعة القدّيس يوسف، وقد نجدها في شرعتها في العام ١٩٧٥، والتي نحتفل هذه السنة بذكرى مرور ٤٠ عامًا على صياغتها.

القسم الثاني : تحدّي البقاء وتوحيد الشرعة في العام ١٩٧٥

١٢. في سياق الكوارث التي رزح البلد تحت وطأتها والتحدّي من أجل البقاء والاستمرار، تمّ وضع شرعة جامعة القدّيس يوسف، وكذلك قوانينها الجديدة، والتفكير فيها وكتابتها في العام ١٩٧٥. على أرض الواقع، كانت الجامعة معرّضة للانهيار لسببَيْن رئيسيَّيْن: "كانت إعادة هيكلة الجامعة تفرض نفسها،" وفقًا للأب سليم عبو. فالسبب الأوّل كان داخليًّا، إذ إنّ بعض اليسوعيّين لم يفهموا في الأعوام ما بين ١٩٧٠-١٩٧٤، شبه القرار الذي اتّخذته الرهبانيّة في الشرق الأوسط بالانفصال عن الجامعة، بدءًا بكليّة اللاهوت الحبريّة ومرصد كسارة اللذين أُحيلا على مؤسّسات أخرى. وتمّ التفاوض أيضًا على نقل كليّة الطبّ إلى الدولة اللبنانيّة. في الواقع، حين كنتُ في الإكليريكيّة بتلك الفترة، في كليّة اللاهوت والفلسفة بجامعة القدّيس يوسف، عشتُ، من خلال علاقتي ببعض الآباء والأخوة اليسوعيّين الطلاّب في ذلك الوقت، التوتّر القائم بين وجهتَي نظر متعارضتَيْن داخل الرهبانيّة في مصير الجامعة. الأولى كانت تنادي بإقفال الجامعة وترتئي عدم تمكّن اليسوعيّين من الاستمرار بسبب نقص الموارد البشريّة والماديّة، وبسبب حرب مستمرّة أقفلت جزءًا كبيرًا من أبنيتها، والتي كان من شأنها أن تحدّ من دورها ورسالتها. أمّا وجهة النظر الثانية، بالمقابل، وهي في الواقع مؤيّدة ولكنّها تتمتّع بالرؤية، فكانت تدعو إلى استمرار الجامعة وتطويرها وفقًا للقواعد الإداريّة الحديثة ومواجهة التحدّيات بشجاعة. من ناحية أخرى، فالحرب التي اندلعت بشكلٍ ضمنيّ في العام ١٩٦٩ لم تنجُ الجامعة من نتائجها الوخيمة، فبعضُ مبانيها أصبح غير صالح للسكن، ممّا أدّى بالعديد من المؤسّسات إلى الهجرة نحو ملاجئ مؤقّتة. أمام هذا الواقع القائم، اختصر الأب دوكروييه Ducruet هذه الفترة وأعلن عن كيفيّة مواجهة تحدّيات البقاء والاستمرار بالكلمات التالية : ١) إرادة عدم إغلاق الجامعة وإعادة فتح مؤسّساتها، ٢) شرعة وقوانين جديدة تعيد تحديد رسالة الجامعة ومسؤوليها بطريقة مستدامة، مع ضمان بقائها.

١٣. في ٢٠ أيّار (مايو) ١٩٧٥، بعد شهر من اندلاع "الأحداث"، كما كان يُشار إليها في ذلك الوقت، واجهت الجمعيّة التأسيسيّة التي تشكّلت قبل فترة وجيزة للتفكير في الخيارات الاستراتيجيّة

للجامعة، التحدّي، وتبنّت الشرعة التي ستحكمها بعد هذا التاريخ. ولم تكن بلورة الشرعة والأنظمة هذه "مفاجأةً ولا ارتجالاً"، على حدّ قول الأب دوكروييه Ducruet، الذي أكّد في كلمته الموجّهة إلى مجلس جامعة القدّيس يوسف في اجتماعه الأوّل : "الإرادة التامّة بعدم إغلاق الجامعة التي كانت مصدر هذه القوانين الجديدة ؛ حتى إنّها معزّزة بالقوّة في حال حدوث كارثة وطنيّة تستبعد مسبقًا كلّ ما يمكن، خطأً أو صوابًا ، أن يبدو تخلّيًا عن البلد، بلدنا، بقدر ما يعاني اليوم من نزاعٍ حقيقيّ". لذلك (...) يجب على الجامعة أن تأخذ على عاتقها إعادة فتح كلّ ما لديها من كليّات وبرامج تعليميّة". والتحدّي في هذه المرحلة متعدّد : ففي رأي رئيس الجامعة الأسبق، الأب سليم عبو، خليفة الأب دوكروييه Ducruet، يبدو أنّ اثنين من التحدّيات في هذا الوقت كانا يوجّهان عمل جامعة القدّيس يوسف : **إعلان استقلاليّة المؤسّسة** عن النظام الفرنسيّ الجامعيّ عن طريق لبننة شهاداتها وهيئتها التعليميّة وفي ما يتعلّق بالرهبانيّة اليسوعيّة ؛ **والتحوّل التدريجيّ لما كان اتّحادًا لكليّات متفرّقة** نحو جامعة مركزيّة. وإضافةً إلى ذلك هناك تحدٍّ ثالث تواجهه الجامعة وهو **"إنشاء بُنى مشاركة** حقيقيّة حيث يفترض بالمعلّمين اللبنانيّين تحمّل المزيد من المسؤوليّة"، بصفة عمداء ومسؤولين.

١٤. إن نظرتم إلى عدم إغلاق الجامعة اليوم سوف تتّفقون معي قائلين إنّ عدم الإغلاق يعني أنّ ثمّة معنى لوجود لبنان، ولرسالة اليسوعيّين والمجتمع الأكاديميّ، بغية الحفاظ على أنشطة الجامعة، التي كانت ولا تزال قيمة مضافة للتعليم العالي اللبنانيّ والعربيّ، وللحياة الوطنيّة اللبنانيّة. إنّ إرادة عدم الإغلاق، وبلورة الأنظمة الأساسيّة، وترسيخ الهويّة اللبنانيّة وتعزيز الموارد البشريّة، تعني أنّ مشكلة جامعة القدّيس يوسف كانت أكثر من مشكلة موارد ماليّة وبشريّة، بل هي مسألة رؤية ما ينبغي أن تكون عليه إدارة جامعة حديثة مع بقائها وفيّة وأمينة على رسالتها الدائمة ومرتبطة بالرهبنة اليسوعيّة. أودّ أن أضيف تحدّيات أخرى تكلّم عيها الأب دوكروييه Ducruet وتبقى آنيّة : إنّ جامعة القدّيس يوسف، المدعومة بإدارة مركزيّة، على الرغم من خصوصيّة المؤسّسات، هي وحدة أكاديميّة، لأنّ كليّات العلوم الإنسانيّة - على سبيل المثال – قد تفقد كثيرًا من معناها إذا أغلقت الكليّات التقنيّة أبوابها" والعكس صحيح. قلقٌ آخر ورد في النصّ الشهير هذا لمجلس جامعة القدّيس يوسف في

اجتماعه الأوّل، ألا وهو التوازن الذي يجب الحفاظ عليه، وفقًا للأب دوكرييه، بين تعزيز الثقافة واللّغة العربيّة في جامعة القدّيس يوسف وتعزيز الثقافة الفرنسيّة، ولأنّ "التوازن الثقافيّ (الفرنسيّ–العربيّ)، هو عنصر توازن للبلد ؛ فالسماح بانهيار هذا التوازن الثقافيّ يقوّض هويّة البلاد بالخطورة نفسها التي يسبّبها أولئك الذين يتلاعبون حاليًّا بمصير لبنان عن طريق تقسيمه وشرذمته".

قراءة الشرعة اليوم، ومن أجل اليوم

١٥. اليومَ، كيف نقرأ اليوم الشرعة التي لم تتغيّر منذ العام ١٩٧٥، والنظام الأساسيّ الذي أُجريت عليه تعديلات متعدّدة ليتناسب مع تطوّر جامعة القدّيس يوسف ؟

على طريقتي، أجمع الأفكار الرئيسيّة من الشرعة في أربعة محاور أو موضوعات :

الموضوع الأوّل وهو داخليّ، يتعلّق برسالة جامعة القدّيس يوسف، وبإدارتها وبهيكليّتها. تورد الشرعة أنّ جامعة القدّيس يوسف هي "مؤسّسة خاصّة ذات طابع علميّ وثقافيّ، وهي غير هادفة للربح"؛ وهي "تؤدّي رسالةً عامّة في التعليم العالي والبحوث"، رسالةً مزدوجة يجب ألاّ ننساها. والأهمّ هو أنّها "تتمتّع، من أجل تحقيق هذه الغاية، بالشخصيّة الأخلاقيّة والاستقلاليّة الإداريّة والعلميّة والماليّة"؛ وهي رسالة موجّهة إلى الجامعة نفسها التي يجب أن تواجه التحدّي المتمثّل في استقلاليّتها بحدّ ذاتها عن الرهبانيّة اليسوعيّة التي تتحدّد الروابط بها في الشرعة نفسها، وعن فرنسا التي يجب ألاّ تنظر إلى جامعة القدّيس يوسف باعتبارها ملحقةً ثقافيّة، بل تعتبرها شريكة. وهي مستقلّة أيضًا عن الأفرقاء المسيحيّين الذين لا يُفترَض بهم أن ينظروا إلى جامعة القدّيس يوسف ملكيّةً خاصّة طائفيّة، بل أداة لتعزيز معنى الوجود المسيحيّ في لبنان والعالم العربيّ. وأخيرًا، فالجامعة مستقلّة عن السلطات اللبنانيّة التي يجب أن تأخذ في الاعتبار الطابع الخاصّ واللبنانيّ للمؤسّسة بحسب الشرعة : "تنخرط رسالتها الوظيفيّة أو سعيها المهنيّ في خدمة أساسيّة تشكّل الرسالة الثقافيّة للجامعة، واضعةً إيّاها في خدمة ترقية الإنسان". "في تنظيمها المركزيّ، يدير مجلس الجامعة شؤونها، برئاسة رئيس الجامعة."

ويشمل مجلس الجامعة أصحاب القرار في مختلف المؤسّسات ورئاسة الجامعة، ويتمتّع بصلاحيّات إداريّة وماليّة وأكاديميّة واسعة. "يتعيّن على المجلس (وفقًا للأنظمة) تحديد أهداف الجامعة، بحسب الشرعة، ووضع السياسات لتحقيق هذه الأهداف، وإنشاء المؤسّسات، وتعزيز الهياكل التي تسهّل تنفيذ هذه السياسات، وهو على رأس إدارة المعاهد والمؤسّسات المرفقة مثل مستشفى أوتيل ديو دو فرانس". يتكفّل رئيس الجامعة بمسؤوليّة تنفيذ هذه القرارات، وهو على رأس إدارة رئاسة الجامعة التي تشمل الخدمات العامّة المشتركة في كلّ الجامعة.

١٦. في مجموعة ثانية من الأفكار، فالشرعة لا تتغاضى عن أصول الهويّة المسيحيّة وآنيّتها، بمعنى أنّ جامعة القدّيس يوسف تؤدّي رسالتها في التعليم والبحوث من منظورها المسيحيّ القائم منذ تأسيسها. لكنّها تكون منفتحة على القضايا الأساسيّة التي تُطرَح على ضمير كلّ إنسان في المعنى النهائيّ للحياة والاعتراف بالله، وتعزيز روح الحريّة الشخصيّة، والانفتاح على الحياة الروحيّة. إنّ أعضاء مختلف الجماعات الطائفيّة، بما في ذلك التعدديّة التي هي سمة من سمات المجتمع اللبنانيّ، مدعوّون إلى المشاركة معًا في هذه الحملة، ممّا يفترض المعرفة والاحترام المتبادل. ينطوي هذا المنظور على الحريّة الدينيّة و"لا يمكن أن يُقبَل أيّ تمييز بينهم على أساس طائفيّ." من هذا المنطلق، لدى الرهبانيّة اليسوعيّة واجب، في ما يتعلّق بجامعة القدّيس يوسف، بما أنّ المادّتين ١ و ٩ توضحان أنّ "الرهبانيّة اليسوعيّة أسّست وأحيت جامعة القدّيس يوسف منذ تأسيسها". أمّا الفصل ٣ من الشرعة فيحدّد العلاقة بين الجامعة والرهبانيّة اليسوعيّة. والأخيرة "مسؤولة عن النشاط الروحيّ والاجتماعيّ" في الحياة الجامعيّة، وعن ضمان إخلاص الجامعة للمبادئ الأصليّة، من خلال رئاسة الجامعة، وهي الوظيفة الوحيدة التي يقوم بها راهبٌ يسوعيّ. في الواقع، ثمّة لجنة تأسّست منذ العام ١٩٧٥ تُعتبَر صلة وصل بين الرهبانيّة اليسوعيّة وجامعة القدّيس يوسف، وهي لجنة يجب تفعيلها، بحيث يصبح دور الرهبانيّة اليسوعيّة أشدّ فعاليّةً ويلبّي توقّعات الجامعة. وفي هذا الصدد، أودّ أن أشكر هنا الأب الإقليميّ الذي سمّى مؤخّرًا الأب فيكتور أسود مرشدًا أساسيًّا في الجامعة ومستشفى أوتيل ديو، علامةً على اهتمام جمعيّة رفاق يسوع بتنشيط جامعة القدّيس يوسف، ومناسبة لشكر الأب غابي

خيرالله على الدفع الذي ظهر جليًّا في نشاطات المرشديّة الروحيّة وفي حضوره المحبَّب. تقدّم نصوص الشرعة إجابات عن عددٍ من الأسئلة التي كانت تُطرَح في الماضي، بدءًا بِ"علمانيّة" – أم عدم علمانيّة – جامعة القدّيس يوسف، والتي كانت تثير في تلك الفترة مناقشات ساخنة في داخلها، استمرارًا للروح الباريسيّة في العام ١٩٦٨، إلى حدّ طرح مسألة تغيير اسم الجامعة. ولكنّ القدّيس يوسف كان في الواقع علمانيًّا، وربّ أسرة، وبناءً عليه، كان بالإمكان أن يبقى الوصيّ التاريخيّ لماضي الجامعة كما لمستقبلها.

١٧. **وفي المجموعة الثالثة من الأفكار،** تعطي الشرعةُ أساسًا لاستقلاليَّة الجامعة مجدّدًا، ولكلّ كليّة من كليّاتها ومؤسّساتها المرتبطة بها. وينطبق المبدأ نفسه على جميع المستويات : مستوى المشاركة. وتنصّ المادّة ٧ على مبدأ المشاركة وتشرح أسباب هذا الاختيار : "ليستِ المشاركةُ ضروريّةً في مناخ الجامعة وحسب، بل في نوعيَّة المجتمع الذي نعتزم تشجيعه". (**شرعة جامعة القدّيس يوسف، المادّة ٧**). حتّى إنّها دعت المعلّمين والباحثين والموظّفين والطلاّب إلى المشاركة في القرار من خلال إنشاء مجالس مزوّدة، كلٌّ بحسب درجته، سلطتَيْن "تشريعيّة" و"تنفيذية". فالشرعة والنظام الأساسيّ يبغيان إذًا بناء "مجتمعٍ جامعيّ" يسعى إلى أن يكون نموذجًا للمجتمعات اللبنانيّة، مفتوحًا للجميع، على أساس اختيار الانتساب إلى الجامعة طوعيًّا، بطريقة أو بأخرى. في السنوات الأخيرة تلك، هبّت رياح المشاركة بقوّة على جامعتنا. وقد تمّ التشكيك فيها مؤخّرًا مع قرار تعليق الانتخابات الطلاّبيّة لأسباب أمنيّة. ولكن هذه هي الطريق التي نريد أن نسلكها، رسالةً وتحدّيًا ما زالا آنيّين، أشدّ من أيّ وقت مضى، من خلال تنمية روح جامعة القدّيس يوسف، روح تعزيز المواطنة والديمقراطيّة.

١٨. **المجموعة الرابعة من أفكار** الشرعة تتعلّق بدور جامعة القدّيس يوسف في ما يختصّ بالبناء الوطنيّ اللّبنانيّ في استمراريّته، مع ما قدّمته جامعتنا قبلاً في لبنان، بكليّاتها التاريخيّة مثل كليّة الطبّ وكليّة الهندسة، وطبعًا كليّة الحقوق التي قامت بدورٍ حاسمٍ في إنشاء لبنان الكبير. وتشير المادّة ٥ إلى التزامها بتعزيز "الثقافة العربيّة والثقافة الفرنسيّة كما تتّسم بهما الهويّة الثقافيّة اللبنانيّة"، وكذلك صياغة "سياسة ثقافيّة وطنيّة"، ممّا يعني أنّ جامعة القدّيس يوسف تتحمّل اليوم مسؤوليّة التفكير في هذه

السياسة الثقافيّة وتكييفها وتعزيزها. ولتأكيد الهويّة اللبنانيّة، كان على جامعة القدّيس يوسف أن تمرّ أيضًا بنوعٍ من الحداد على الاستعمار أو الانتداب الفرنسيّ. وامتدادًا لهذا الالتزام، تضيف المادّة ٦ محدّدةً أنّ "جامعة القدّيس يوسف لا تقبل أن تكون في خدمة حصريّة لطبقة اجتماعيّة واحدة أو مجتمع إتنيّ واحد ؛ ولهذا السبب، تولي أهميّة خاصّة بتنوّع توظيف المعلّمين والطلاّب في أحرامها". إنّ هذا الإعلان كان يبدو تحدِّيًا ذا طابع سياسيٍّ، في سياق تلك الحقبة، إذ كان لبنان يواجه تحدّيًا آخر يكمن في بناء المجتمع اللبنانيّ على أسس ديناميكيّة، من دون نسيان أنّ العيش المشترك واحترام الآخر لا يزالان في أساس ميثاقه الإجتماعيّ.

الجزء الثالث : التحدّيات من أجل أن نبتكر، ونصبح جامعةً

١٩. إنّ عددًا من التحدّيات التي واجهناها في شرعة العام ١٩٧٥ في شكل مبادئ أو وعودٍ مستقبليّة، تحتفظ بآنيّتها حتّى اليوم. وإذا نظرنا إلى خير الجامعة وخيرنا، وإذا كنّا نريد تحديدًا لرسالة جامعة القدّيس يوسف وتنميتها النوعيّة والكّميّة، بطريقة ملموسة، فلا يمكننا تجاهلها. ثمّة تحدّيات أخرى لم ترد في الشرعة، ولكنّ المتطلّبات الأكاديميّة تثيرها اليوم، ويجب التفكّر فيها وأخذها في الاعتبار. في نهاية المؤتمر، شهر كانون الثاني الماضي، وقد نال تقديرًا واستحسانًا من جميع المشاركين في موضوع : "جامعة يسوعيّة في الشرق الأوسط : أيّ دور وأيُّ رسالة ؟". سبق أن أشرت إلى تسعة تحدّيات يتوجّب على جامعة القدّيس يوسف أن تواجهها في السنوات المقبلة. أشار إليّ أحد المشاركين إلى ما يحمله الرقم ٩ من رمز إلى تكوين الحياة في الرحم، والولادة التي تنتج منها. بالطبع، لن أفرض عليكم كلامًا مكرّرًا، ولكنّي أودّ أن أؤكّد أنّ التحدّيات تجعلنا مُبدعِين وتحثّنا على اتّخاذ موقف الرجاء، والالتزام في الحياة، علامة التفاؤل والوفاء. **أقولُ أنّ لدينا ثلاثة أنواعٍ من التحدّيات يجب تحديدها جيّدًا لمواجهتها مستقبلاً.**

٢٠. النوع الأوّل من التحدّيات يتلخّص، في ضوء الشرعة وحياتنا اليوميّة، في السؤال التالي : ماذا يعني "الاستمرار في كوننا جامعة لبنانيّة" ؟ في حين أنّ لبنان لا يمكن عزله عمّا تعانيه الشعوب من حوله من حروب بين الأشقّاء وانتهاكات تعسفيّة. أن تكون الجامعة لبنانيّة يعني بالتأكيد أنّها متأصِّلة في الأراضي اللبنانيّة، وأنّها في خدمة العيش المشترك اللّبنانيّ، وفي خدمة ترقية نخبة لبنانيّة مثقّفة. فالصراعات العنيفة أحيانًا بين الطلاّب، في السنوات الأخيرة، هي من أعراض مشكلة خطيرة علينا أن نواجهها. إنّها مشكلة إدارة التعدّديّة وقدرتنا على تنشئة الأشخاص في المجتمع، من خلال الحريّة التي تواجه الحريّات الأخرى، والاختيار الواعي لسلّم القِيَم الهرميّ، وتعلّم أخلاقيّات السلوك. تستقبل جامعتنا جمهورًا متنوّعًا جدًّا، من جميع المناطق اللبنانيّة، وخاصّة منذ انضمامها إلى عمليّة بولونيا وتبنّيها النظام الأوروبيّ لاحتساب الأرصدة القابلة للتحويل في العام ٢٠٠٣. كلّ عام ينضمّ إلينا ١٧٠٠-١٨٠٠ طالبٍ من جميع الجهات وجميع المشارب السياسيّة، بالإضافة إلى ألف طالبٍ وطالبة، ينخرطون في الماجستير أو الدكتوراه. ويتمثّل التحدّي في تكرار العمل نفسه كلّ سنة، ألا وهو التحلّي بأخلاقيّات الانتماء اللّبنانيّ مع طلاّب السنة الأولى، بحيث يقيمون علاقات تتميّز بالمودّة المتبادلة والاحترام المتبادل، ومحاورة الآخر المختلف بديموقراطيّة، بحيث يتمّ إفساح المجال لبروز مساحة الحريّة والقِيَم التي تتكوّن منها الجامعة. لقد سبق أن أشار الأب عبو إلى هذا التحدّي في كلمته التي ألقاها ١٩ آذار (مارس) ٢٠٠٠ فقال : "في هذا السياق (سياق الاضطرابات بين المسيحيّين والمسلمين بعد الطائف)، تسعى جامعة القدّيس يوسف إلى أن تبقى مساحةً للحريّة. ولكن إذا كانت حريّة التعبير مكفولةً تمامًا في مختلف أحرام الجامعة، فإنّ تعلّم الديمقراطيّة بطيء وعسير. العمداء والمدراء يسعون إلى مساعدة الطلاّب على اكتساب ثقافة سياسيّة حقيقيّة (...) (لكي) يتعلّم الطلاّب أن يستبدلوا العقلَ بالعاطفة، والبصيرة بالارتباك، والحججَ المقنعة بالاندفاع. (...) وربّما يصحّ القول إنَّ الشبيبة هي مستقبل البلاد، شريطة ألا يكرّروا سلوك ولغة الطبقة السياسيّة التي خيّبت أملهم" **(عبو، جامعة القدّيس يوسف بعد ١٢٥ عامًا : التحدّيات والآمال، ٢٠٠٠)**. فرأي رئيس الجامعة بالأمس هو رأي رئيس الجامعة اليوم ؛ يُخيَّل إلينا أنّ الحاضر هو نسخة عن

الماضي، إلاّ أنّ قرار الجامعة يشمل اليوم جميع الطلاّب في الحلقة الأولى من دراستهم، ويدعوهم إلى متابعة موادّ تعليميّة اختياريّة في التربية والتفكير في المواطنة والأخلاقيّات، وحوار الأديان وتعدّديّة التخصّصات المتداخلة. بالإضافة إلى تعليق الانتخابات، سوف تنظر جامعة القدّيس يوسف بعمق في إدارة التعدّديّة داخل المجتمع الطلاّبيّ، من خلال دعوة أكبر عدد من الطلاّب إلى التفكير في الظروف الإيجابيّة لممارسة الحريّة، وهذه الممارسة، وفقًا لرسالتنا، يجب أن لا تُحدِث أيَّ صراع يخالف رسالتها في تنشئة أشخاص ديمقراطيّين لا بالكلام فحسب، ولكن بالعمل المدروس.

٢١. في هذا النظام من التحدّيات أيضًا، تدعو شرعة الجامعة إلى تحمّل مسؤوليّة ثقافيّة وطنيّة في السعي للحفاظ على "التوازن بين الثقافة الناطقة باللّغة الفرنسيّة والثقافة الناطقة باللّغة العربيّة." ومن المحتمل أن يكون هذا الأمر مرتبطًا بسياق العام ١٩٧٥، عندما تعرّض لبنان لخطر تعريب البرامج الأكاديميّة والمدرسيّة، وهو مشروع كان قد بدأ ولكن سرعان ما استبعده أشرس أنصاره أنفسهم، مدركين العواقب المميتة والانتحاريّة لمثل هذا العمل. اليوم، العالم الجامعيّ العربيّ، المضاعف بـ ١٠٠ منذ العام ١٩٧٥، من ناحية الكميّة، اختار بطريقة شبه مهيمِنَة اللّغة الإنجليزيّة باعتبارها لغة التدريس والبحث. وإذا كنتم لا تعرفون، فسأقول لكم إنّ التصنيفات العالميّة – باستثناء التصنيف الفرنسيّ – لا تدرجكم بسهولة اليوم في لوائحها، إن لم تقوموا بجزء كبير من نشاطكم الأكاديميّ – وهذا ينطبق بشكلٍ خاصّ على البحوث – باللّغة الإنجليزيّة. كما يتبيّن لنا أنّ ستّين في المئة، إن لم يكن أكثر من ذلك، من الطلاّب – وأفضلهم – الذين تمّت تنشئتهم في المدارس الناطقة باللّغة الفرنسيّة، يتّجهون اختياريًّا إلى النظام الجامعيّ الأنغلوساكسونيّ، الأمر الذي قد يعيق تنمية جامعة القدّيس يوسف التي تعتمد حتّى اليوم، وبشكلٍ يكاد يكون حصريًّا، اللّغة الفرنسيّة في التدريس والبحث، ولم تبادر بتفكيرٍ حقيقيّ، نظرًا إلى هيمنة اللّغة الإنجليزيّة هذه، وتأثيرها في التوازن الثقافيّ الوطنيّ الذي يجب الحفاظ عليه حاضرًا ومستقبلاً. منذ تأسيس الجامعة حتّى العام ١٩٥٠، كانت اللّغة الفرنسيّة هي الرائجة في العديد من العواصم العربيّة. وكانت جامعة القدّيس يوسف تستقبل أعدادًا من الطلاّب القادمين من المدن الكبيرة في المنطقة، كدمشق وحلب وعمّان وبغداد وطهران وغيرها من المدن، حيث كانت

الفرنكوفونيّة لا تزال حيّة. اليوم، فتسجيل الطلاّب غير الناطقين بالفرنسيّة من المنطقة إلى جامعة القدّيس يوسف قد انخفض بشكلٍ ملحوظ، بسبب تواري اللغة الفرنسيّة في هذه المدن وعدم وجود برامج باللّغة الإنجليزيّة في جامعتنا. بالأمس، أشار الأب شاموسي بفخر، وبالعودة إلى الشرعة التي تتناول اللّغات الثلاث، إلى "قرار جامعتنا بإقامة نظام يضمن أنّ الطلاّب يمتلكون اللّغات الثلاث (...) من هنا، أُعطِي الضوء الأخضر بعضَ المناهج التي قد تدرّس بثلاث لغات "(Chamussy، **جامعة اليسوعيّة في لبنان: متطلّبات وخصوصيّات، ٢٠١٢**). من المؤكّد أنّ هذا الحدس واعدٌ. لذلك، قرّر مجلس جامعتنا، في اجتماعه بشهر شباط (فبراير) الماضي إيجاد المزيد من المناهج باللّغة الإنجليزيّة لننفتح على أولئك الذين يرغبون في الدراسة بتلك اللّغة، سواء أتوا من لبنان أو من العالم العربيّ أو من أماكن أخرى، وذلك في إطار جامعة تستمدّ قيمها الإنسانيّة من بين قِيَمٍ أخرى، من التقليد، ومن الحداثة الفرنكوفونيّة، وهي قِيَم ترافق الفرنكفونيّة يوميًّا وبلا كلل.

في ما خصّ اللّغة العربيّة، استقبلت جامعة القدّيس يوسف، من خلال معهد الآداب الشرقيّة، ومنذ ما يقارب قرنًا من الزمان، منذ تأسيس الكليّة الشرقيّة في العام ١٩٠٢ حتّى تأسيس معهد الآداب الشرقيّة العام ٢٠٠٠، الآلاف من الطلاّب من لبنان والعالم العربيّ الذين يسعون إلى تطوير مهاراتهم في اللّغة العربيّة بمختلف اختصاصات الآداب والعلوم الإنسانيّة. إنّ بروزَ نظامٍ جامعيّ عربيّ اليوم، واختفاء نسبيًّا للاستشراق النقديّ في الدراسات الإسلاميّة والعربيّة بمواجهة الدراسات الدينيّة الشرعيّة، حدّت بشدّة عمل جامعة القدّيس يوسف في هذا المجال. وقد نبدأ اليوم بالتفكير في برامجنا باللّغة العربيّة والإسلاميّات، لجعلها أشدّ تكيّفًا وأهميّة. ولدينا منذ عدّة سنوات خبرة في تدريس الحقوق في دُبي، وهي خبرة قصيرة نأمل في توسيعها لتشمل مجالات أخرى من الدراسات.

٢٢. النوع الثاني من التحدّيات يتعلّق بضرورة امتثال جامعتنا المتطلّبات الأكاديميّة والجامعيّة والوطنيّة والدوليّة ؛ وإن قمنا بخطواتٍ أساسيّة، وخاصّة من حيث النهج وضمان الجودة في مجالات الإدارة والهويَّة البصريّة والتعليم، وتوصيفات المقرّرات، ومنتجات البحث التي من شأنها أن تكون أساسيّة أو تطبيقيّة، سوف تقولون معي إنّ سمعة جامعة القدّيس يوسف التي تستند إلى الأعوام

السابقة والاقتناع بالامتياز لم يعودا كافيَيْن ؛ ويجب علينا الإثبات أنّ الجودة والتميّز، مع مؤشّراتهما ومعاييرهما التطبيقيّة، يظهران جليًّا في كلّ مناهج جامعتنا. إنّ جميع رؤساء الجامعة، منذ العام ١٩٧٥، وكذلك الذين كتبوا عنها، يؤكّدون بصوتٍ عالٍ وواضح أنّ هدفنا يكمن في أن تبقى جامعة القدّيس يوسف مركزًا للتميّز، وبالتالي مُعترَفًا بها في الشرق والغرب. ولكن مفهوم التميّز هذا – وهو واضح على ما يبدو – يمكن أن يخفي بعض المشاكل، من بينها مشكلتان كبيرتان نحن على علم بهما، بما أنّ إجراءات اتُّخذت لمواجهتهما. المشكلة الأولى **تربويّة** : توفّر التكنولوجيات الحديثة للمعلومات، وهي فوريّة، نقل المعرفة، ولكنّها لم تتمكّن من أن تجعل المدّة نسبيّة أو تلغيها، وهي مدّة لا تزال شرطًا لاستيعاب المعلومات، والملخّص الإجماليّ الشخصيّ للمعرفة. حتّى وإن نشرت هذه التقنيّات المعلومات نفسها في كلّ مكان، يتمّ تلقّي هذه المعلومات في حيّز اجتماعيّ وثقافيّ معيّن. في تطرّقنا إلى هذا الأمر، نسلّط الضوء على الناحية المعرفيّة التي تأخذ حجمًا كبيرًا والتي تتلخّص في الإقرار بأنّ التربية لم تعد متمحورة على المحتويات، ولكن على المتعلّم الذي يجب أن يأخذ على عاتقه محتويات التعلّم، بدعم من المعلّم الذي يوجّهه في مسارات تعلّمه.

أمام هذا الواقع، لم نبقَ مكتوفي الأيدي : لقد تبنّت الجامعة مؤخّرًا نظام المعلّم الباحث الذي يضعها على قدم المساواة مع أفضل الجامعات، وهذا ما أنجزته مهمّة التربية الجامعيّة ولا تزال تنجزه حاليًّا مع المؤسّسات ومع المعلّمين، ويهدف هذا النظام إلى تطوير نموذج التدريس الجامعيّ بطريقة ديناميكيّة، واضعًا في الأولويّة دور المتعلّم، ومستجيبًا لهذا التحدّي الذي تواجهه الجامعات الكبرى. وهكذا، فإنّ إعادة كتابة البرامج القائمة على المهارات والكفايات وملامح إخراجها، والتطوير المتواصل في الأساليب الناشطة، وظهور تقييم البرامج الأكاديميّة أو غيرها من البحوث تبعًا لمؤشّرات محدّدة، تمّ تناولها، كما تمّت مباشرتها ليس لنُظهِر أنّنا نراعي الأنظمة، ولكن لنقول لأنفسنا إنّنا نريد تحسين برامجنا، وتعزيز دور الطالب، وإيلاء البحوث مكانتها، كلّ ذلك بغية تبيان أنّ الامتياز يدخل حيّز واقع رسالة التعليم والبحث، وبطرق متعدّدة موضوعة في خدمة هذا الهدف.

إذا كان التميّز **تربويًّا** فهو أيضًا **مؤسّساتيّ**، مع العلم أنّه، على المستوى اللبنانيّ، صَدَرت ثلاثة أنظمة أو هي على وشك أن تُنشَر، في شروط تأسيس جامعة، ومتطلّبات الدكتوراه، وضمان الجودة والأداء الجامعيّ (٢٠١٤/٢٨٥)، التي تمثّل، وإن كانت غير كاملة، معايير ظاهرة للعيان وتتمتّع بالجودة. أعتقد أنّ جامعتنا، حين قامت بإدراج ديناميكيّ للنظام الأوروبيّ لاحتساب الأرصدة القابلة للتحويل، استجابت لهذه المعايير ؛ ولكن لا يزال هناك جهودٌ جمَّة يتعيّن القيام بها، وخاصّة في ما يتعلّق بالدكتوراه، مع العلم أنّ هذا يرتبط بديناميّة البحث. وإدراك هذا الأمر يعني أنّنا في طريقنا الصحيح لبلوغ الهدف المنشود. اليوم، يتعلّق تقييم إحدى الجامعات أو حتّى إحدى الكلّيات الجامعيّة بجميع الجوانب والجهات الفاعلة في سير عملها ورسالتها. في ما يخصّنا، فالورشة مفتوحة مع وصول خبير أوروبيّ، في بداية شهر أيّار (مايو)، سوف يساعدنا على توضيح الإطار ووسائل التنفيذ من أجل الدخول في ديناميكيّة تلك العمليّة والثقافة النوعيّة بغية عرضها والعمل بها.

وعلى سبيل التحديد، تُطرح وراء هذا العنوان مسألة احتساب أرصدة بعضٍ من إعدادنا ومؤسّساتنا. وهنا يظهر التحدّي الحقيقيّ. يتطلّب النظام الجديد للتعليم العالي في لبنان احتساب الأرصدة لبرامج الإجازة والماستر والدكتوراه مرّة كلّ خمس سنوات، وعلينا أن نكون على استعداد لمواجهة هذا التحدّي. وهناك مجال آخر هو التنشئة المستدامة التي يجب أن نطوّرها من أجل تكييف مقرّراتنا وبرامجنا باستمرار، مع تطوير المعرفة والمِهن وتلبيةً للحاجات التي يلتمّسها قطاع الأعمال.

٢٣. النوع الثالث من التحدّي عمليّ ؛ ويتعلّق بالاستقلاليّة العلميّة والإداريّة والماليّة لجامعة القدّيس يوسف، والتي تذكرها الشرعة. مفهوم الاستقلاليّة هذا، بالنظر إلى مهمّات الجامعة المكلفة التي لا تُحصى ومشاريعها التنمويّة لبناها التحتيّة التعليميّة، يحثّنا على البحث عن الوسائل والموارد البشريّة والماليّة لتنفيذ سياستنا التنمويّة الخاصّة التي ستتناولها وثيقة "رؤية جامعة القدّيس يوسف 2025" والتي يتمّ وضعها بالتشاور مع كلّ القوى الحيّة والفاعلة في الجامعة. هذا القلق الذي يتعلّق بجامعة القدّيس يوسف وتطوير المستشفى الجامعيّ عندنا – مستشفى أوتيل ديو دو فرانس – يقودنا إلى إرساء أسس مؤسّسة جامعة القدّيس يوسف، من أجل استنزاف موارد جديدة من أصدقاء

وقدامى الجامعة، وكذلك توسيع عمل مؤسّستنا "البحث والتنمية"، مع العلم أنّ الموارد الماليّة في جامعة القدّيس يوسف تأتي أساسًا من أقساط الطلاّب، ومن بينهم ما يقارب ٣،٠٠٠ طالب يعوّلون علينا للحصول على المِنَح الدراسيّة وتمويل دراستهم. ليس في الجامعة مبلغ من المال يُعتَبَر منحةً أو هبةً (بالإنجليزية : endowment) تعتمد عليه من أجل نموّها. يتمّ تخصيص كلّ قرش نملكه لمهمّات ومشاريع تنمية الجامعة. لذلك نحن بحاجة إلى إقامة توازنٍ بين الأهداف والسياسة الواجب اتّباعها، لتأمين وسائل تحقيق ما نعتبره ضروريًّا لجامعة القدّيس يوسف.

٢٤. من أجل اختتام تصوّر التحدّيات هذه التي يجب مواجهتها، أودّ أن أؤكّد أنّ شرعة جامعة القدّيس يوسف تعهد إلى الجامعة، وهذا الأمر ليس بجديد، الاهتمام المباشر بالإصغاء إلى المجتمع الذي تتأصّل فيه. هذا يعني أنّ الجامعة ينبغي أن لا تكون إنجازًا من بين إنجازاتٍ أخرى، في منافسة الآخرين، منطوية على نفسها، تشعر بالقلق إزاء فعاليّتها ونموّها الخاصّ، وإنتاجها الخاصّ بها، وترتيبها في التصنيفات العالميّة. بالتأكيد، علينا أن نتكيّف ومتطلّبات السوق لإثبات فعاليّتنا. ولكن هذا لا يستنفد غرض جامعة القدّيس يوسف ورسالتها كما تشير الشرعة : إنّها تتكفّل بإعداد الطالب لإعطاء حياته المهنيّة والشخصيّة معنًى، وليكون مسؤولاً عن خياراته كما لو كانت خيارات شاملة صالحة لجميع الناس في كلّ مكان. وعليه، يجب على الطالب أن يفهم أنّ العلوم والمعرفة، إذا كانت في تنوّعها تتلاقى في معرفة شروط الوجود، فهي لا تقول شيئًا عن معنى الحياة، وبالتالي يتوجّب عليه أن يعطي هو الحياةَ هذا المعنى. إنّ جامعةً كجامعة القدّيس يوسف، جامعتنا، ليست عنصر قوّةٍ دافعًا لعمل المجتمع فحسب، بل هي مكان يتمّ فيه حُكم تقييميّ على حالة المجتمع والسياسة. وإذا كانت الكلمة ممكنةً، لا بل لازمة، في هذا المجال، فذلك لأنّها ستأخذ على عاتقها أن تمارس في المجتمع وظيفةً خَطِرة ومعيارية باسم الاحترام الذي يوليه هذا المجتمع إنسانيّة الإنسان. لا أخفي عليكم أنّه تحدٍّ يُثقِل كاهل الجامعة، ورسالةٌ تتضمّن مجازفات يجب تحسُّبها.

٢٥. أيّها الأصدقاء الأعزّاء، في هذا السياق، لا يمكن جامعة القدّيس يوسف، وهي ابنة مجتمعها، ومؤسّسةً في قلب المدينة إن لم يكن على ضفّتَي قلب بيروت، أن تبقى محايدةً أو غير مبالية إزاء

تطوّرات الوضع الاجتماعيّ والسياسيّ في المحيط اللبنانيّ والعربي الإسلاميّ. لن أقولَ إنّ النداءات المبرّرة والمتكرّرة الداعية إلى محاورة مختلف الأطراف اللبنانيّة والتي سبق أن بدأت هنا، أو تعليق الانتخابات الطلاّبيّة كانت عوامل أساسيّة في إقامة الحوار السياسيّ الجاري. قد يكون التطرّف الجهاديّ من الجيل الثالث، والذي تجاوز سابقاته في نطاق الإرهاب، على حدّ تعبير جيل كيبيل Gilles Kepel، عاملاً للحضّ على التفكير المشترك من قِبَل الأطراف اللبنانيّة الرئيسيّة، وهو تفكيرٌ يهدف إلى تهدئة النفوس، وإيجاد قواسم مشتركة وإخراج البلاد من مخاطر اندلاع حرب أهليّة جديدة، أو من خطر إقامة نظامٍ سياسيّ يهدّد خصوصيّة الشعب اللبنانيّ وأسسه المتعدّدة. ونحن لا نزال مقتنعين بأنّ شغور منصب رئيس الجمهوريّة يشكّل خطرًا دائمًا، ليس على المجتمع المسيحيّ وحسب، بل على فكرة لبنان التعدّديّ، الساعي إلى أن يكون رسالةَ سلامٍ وحريّة. ومن دون محاولة إلقاء اللّوم على أحد، هذا السعي إلى إيجاد رئيسٍ للبلاد هو في المقام الأوّل مسؤوليّة الأحزاب المسيحيّة.

٢٦. أمام لبنانَ المتعدّد، ثمرةِ هذا الميثاق الوطنيّ الذي يجب أن يُجدّد كلّ يوم، يكمن الخطر الجسيم المتمثّل بتطرّفٍ دينيّ يدّعي التديّن والإسلام، والذي يستبعد، بحسب محمّد السمّاك، كلّ ما هو مختلف، ويستند إلى الشريعة في تفسيرٍ رجعيّ ومهين. كتب الفيلسوف الفرنسيّ ريمون آرون القائم العام ١٩٤٤، في نهاية الحرب العالميّة الثانية ما يلي : "سيتمّ التعامل مع الأساطير والأديان علميًّا من قِبَل نُخَب سفيهة". هل هذه النبوءة في طور التحقيق ؟ من دون أن أثير القلق، هذا التيار القائم ضمن أبعاد دولة، يشكّل خطرًا حقيقيًّا بسبب استناده إلى فقهٍ دينيّ رجعيّ وتراجعيّ، وهو يجذب كثيرًا من الناس ويعمل لتحقيق ديمومته في إطار فضاءٍ جيوسياسيّ، ممّا سيشكّل انتصارًا عنده وخطرًا دائمًا يهدّد كلّ دولة متعدّدة وديمقراطيّة، وخيارًا حقيقيًّا آخر لبلدان الشرق الأدنى والشرق الأوسط. فلنأخذ بالاعتبار الدروس المستقاة من الأحداث التي وقعت في القرن الرابع عشر، عندما اجتاحت عصابات المغول الشرق الأوسط، جارفةً جزءًا من الحضارة العربيّة، وقد سبقتها حرب ضروس شنّها المماليك في المناطق اللبنانيّة، وكانت مرفقة بمجموعة من الفتاوى الأشدّ قسوة. ففي مواجهة هذا

النوع من التهديدات التي تذكّرنا بالأحداث الرهيبة التي اندلعت في القرن الرابع عشر بجبل لبنان مع المماليك، وفي بغداد مع تيمورلنك، نسجّل تضامننا الأكاديميّ الحرّ مع جميع الأصوات، والسلطات والزملاء المسلمين، الذين لا يعبّرون عن غضبهم ورفضهم عهد البربريّة وحسب، مثل مؤسّسة الأزهر، ولكن يدعون إلى تجديد الفكر الدينيّ الإسلاميّ تجديدًا حقيقيًّا ونقديًّا أسوةً بالمفكّرين الثلاثة والعشرين المصريّين المسلمين، ومن بينهم مفتي مصر الأسبق، وقد اقترحوا طريقةً ملموسة لهذا التجديد في ٢٢ نقطة. فالتجديد الحقيقيّ يجب أن يتمّ أيضًا على مستوى التعليم، ويشمل جميع الكتب المدرسيّة ومؤلّفات أخرى، والشبكات العنكبوتيّة التي تلعن وتكفّر الآخرين المختلفين، بما في ذلك من ينتمون إلى الطائفة الدينيّة نفسها. في الواقع، لم نتصالح في هذا الشرق الأوسط، مهد الوحي الدينيّ، مع ما يمكن أن نسمّيه "حريّة الضمير"، حيث يُعتَقد أنّ الدِّين تحيّز الله نفسه ضدّ المؤمنين الآخرين، بدلاً من كون الدِّين كلمةً، ودربًا للخلاص، ومعرفةَ الله، ، إلهًا رحومًا مع الجميع.

٢٧. من الواضح أنّ الكلمة عندنا – نحن اللبنانيّين من جميع الفئات – يجب أن تكون كلمة الحكمة، بدلاً من أن تكون حربًا داخليّة لا يمكن أن تجلب إلى اللبنانيّين إلاّ الدمار والتراجع والبؤس؛ لنكن متواضعين في تلقّي الدروس من تاريخنا، ونبذ كلّ أشكال الحرب الأهليّة. إنّ دروس التاريخ، تاريخنا المشترك، وإن كانت لدينا خلافات على طبيعة كتاب التاريخ المدرسيّ، توضحُ جميعها أنّنا كلّنا خاسرون في هذا الشأن. بدلاً من الحرب، فلنختر خطّ المرونة (résilience) المجدية والمرنة، تلك المقاومة الحكيمة التي سمحت للّبنانيين، بقوّة العقل، صعود القمّة مجدّدًا والتعلّق بلبنان الذي ما زال يفتقر إلى مصالحةٍ حقيقيّة ومغفرة بين مختلف مكوّناته. إنّها مرونة اللبنانيّ من الطبقة الوسطى والأدنى من الوسطى، وعزمه على مواصلة المضيّ قُدُمًا. إنّها تلك الحماسة المتّقدة من أجل العيش "بطريقة عاديّة" والاستثمار في تعليم الأبناء، على الرغم من الدولة المعطّلة أجهزتها، وطبقتها السياسيّة لا تلبّي تطلّعات شعبها. ولئن رفع بعض الوزراء أصواتهم على الفساد، فمن المؤكّد أنّ محاربته يجب أن تكون عمل الحكومة بأكملها. ولكن، على الرغم من البحث عن الإثارة، فإن كنّا نريد تعزيز استقلال بلادنا، ليس هناك حلّ بديل سوى تعزيز بُنانا الوطنيّة، محيّين التزام الجيش اللبنانيّ وسائر قوى الأمن

الدفاعَ عن بلادنا. في الجامعة، ولمناسبة تصميمنا على أن نكون من يعزّز الدولة والمعايير السياسيّة الواجب مراعاتها، نُطلق، في نهاية هذا الشهر، بذكرى مرور ١٤٠ عامًا على تأسيس جامعة القدّيس يوسف، كرسيّ رياض الصلح للدراسات الدستوريّة والسياسيّة، في كليّة الحقوق، وكذلك مرصد الخدمة العامّة والخير العام. هذه هي الطريقة الصحيحة لتنشيط انتمائنا اللبنانيّ الذي يشكّل الخلفيّة والروح السريّة التي تدعم اللبنانيين في سعيهم الحثيث إلى العيش والعيش بشكل جيّد.

٢٨. أخيرًا، وفي هذا العام، إذ نُحيي ذكرى مؤسّسي الجامعة، القدامى والحاليّين، لمناسبة مرور ١٤٠ عامًا على تأسيس الجامعة، و٤٠ عامًا على تدوين شرعة جامعة القدّيس يوسف، كما نحتفل بمرور ١٢٥ عامًا على إنشاء كليّة الصيدلة، ذاكرتنا، وهي فعل الروح الأوّل، هذا الفعل النابع من الوعي الذي يبيّن لنا باطننا العميق، كما يقول القدّيس أَوْغسطينُوس، يشير إلى غنى تراثنا وروعة روحنا، روح جامعة القدّيس يوسف الحيويّة. وإذ أفكّر في كبار معلّمي جامعتنا، الأمّ المربية التي، أسوةً بالأمّ التي تلد وتعطي قوّة الحياة، ندرك ونعي التحدّيات التي نواجهها اليوم وفي الغد :

تحدِّي إعطاء الحياةِ خرّيجين وأشخاصًا يتمتّعون بالفكر، وقادةً مع الآخرين ومن أجلهم، ونخبة فكريّة وأخلاقيّة، ورجالَ دولةٍ مزوّدين المعرفة والقوّة اللتين يتمّ الحصول عليها بمجاراة الأقوى والأفضل، سمتَيْن من سمات التقليد اليسوعيّ في التميّز المُثبَت والمختَبر عبر تاريخ الجامعة، وعبر مواطنين لبنانيّين سوف يتعلّمون ويعلّمون أنّ جامعة القدّيس يوسف مساحةٌ للحوار والوَحْدة في قلب بيروت ؛ ومكانٌ وقلبٌ بمساحة لبنان المكوّن من كلّ العائلات الدينيّة.

– تحدي الانتماء جسدًا وروحًا إلى جامعتنا، إلى الجامعة اليسوعيّة اللبنانيّة والشرق الأوسطيّة، كأن نحبّها من كلّ قلبنا، إذ لا انتماءَ من دون محبّة القيم والإخوة. إذًا، فليحبّ المعلّم رسالته التعليميّة وليستمدّ موارده من جامعة القدّيس يوسف، وليعتنِ الباحث ببحثه، وليحبّ الطبيب كليّته ولا سيّما المستشفى التي يعالج فيها، مستشفى أوتيل ديو دو فرانس، بأن يعطيَها ذاته، كما أنّ المستشفى تعطي من ذاتها، وليحبّ الموظّفون وظيفتهم، وليحبّ الطالب رسالته في التعلّم والمؤسّسة التي تساعده على النموّ.

– تحدّي تعزيز اللغة الفرنسيّة لغة التواصل، ولغة التدريس، ومحرّكًا ثقافيًّا وكذلك اللّغة العربيّة، التي أولتها الجامعة اهتمامًا خاصًّا منذ العام ١٨٧٥، فعزّزتها وستستمرّ في تعزيزها وجعلها لغةَ الحياة والمستقبل، لغةَ الانفتاح على العالم العربيّ.

– تحدّي الابتكار وتجديد الذات لتقديم خدمةٍ فضلى إلى مهمّاتنا الجامعيّة، من خلال تطوير، بعين نقديّة، أدواتنا ومعارفنا الرقميّة، وأساليب تدريسنا التربويّة، وبرامجنا الأكاديميّة باللّغة الفرنسيّة، في المقام الأوّل، وباللّغة الإنجليزيّة من خلال اعتماد أدوات التقييم الذاتيّ النقديّ لكي تترك رسالتها التعليميّة تأثيرًا في العقول والنفوس.

– تحدّي تطوير البنى التحتيّة في جامعتنا بغية تعزيز الشعور بالمسؤوليّة الاجتماعيّة، كالجامعة الخضراء مثلاً، من خلال بناء مواقف للسيّارات لإخلاء الأماكن العامّة واعتماد التنمية المستدامة في مجال الطاقة، وبناء مستشفى نموذجيّ هو ضرورة أوليّة، وبيتٍ للطلبة القدامى، وحرمٍ جديد لإدارة الأعمال والاقتصاد ومقرّات إقامة للطلبة، فيا له من مخطّطٍ ضخم !

– تحدّي إنماء روح جامعة القدّيس يوسف، وهي روحٌ من التضامن الجماعيّ والجامعي، حيث كلّ شريك، وخصوصًا الخرّيجين القدامى والجهات الفاعلة، لهم دورهم ومكانهم في بناء المعرفة والنماذج الإنسانيّة والاجتماعيّة والعلميّة التي تُعتَبَر فخر مجتمعنا الجامعيّ.

تحدّي استخدام جميع أعضاء مجتمعنا الجامعيّ، أي المعلّمين والباحثين والموظّفين الإداريّين والتقنيّين والطلاّب والخرّيجين، بمنحىً أخلاقيّ، قوّة معرفتهم، وحكمهم على الأمور، وتفسيرهم إيّاها، من أجل الخير العامّ الذي حدّثنا عنه الأب غريسيان، رئيس الجامعة، العام ١٩٠٧. إذا اضمحلّت الأخلاقيّات وتلاشت، فأيّ أملٍ للغد ؟

٢٩. أيّها الأصدقاء الأعزّاء، يمكن التحدّيات أن تنطوي على الشكوك والتعب، ولكنَّ فلسفة جامعة القدّيس يوسف التي تبلغ من العمر أكثر من قرن تنبئ بالعكس : فالتحدّيات تحافظ على الأمل بدلاً من عدم اليقين، وعلى الوعد بدلاً من خيبة الأمل. إنّ أحد السياسيّين الذين يحبّون بلدهم قال لي

منذ بضعة أيّام : لا تخافوا من انعدام الأمن لكن بالعكس خافوا من المستقبل السياسيّ المظلم وغير المؤكّد. ومع هذا، تُعلّمنا عقيدة جامعة القدّيس يوسف أنّ الأمل أقوى من الشكّ والخوف. ولكنّ الأمل يجب أن يترافق مع القيمة التي لا تزال الأمم تستشهد بها على النحو التالي : نحن نعرف أنّ ثمّة متطلّبات سياسيّة تُفرَض في الأوقات الصعبة على حياة المجتمعات : "كلّما تطلّب الوضعُ حكومةً ودولة قويّتين، ازدادت طلبات التماسك والتضامن والالتزام الموجّهة إلى المواطنين". اليومُ، على الصعيد الوطنيّ، يتطلّب الوضعُ تضامننا وتماسكنا، وكذلك تضامن جميع المواطنين وتماسكهم. والأمر نفسه مطلوب على مستوى جامعتنا : التضامنُ نفسه في الحكمة والعمل أمران ضروريّان، لأنّ تحدّيات الجامعة، كما تبيَّن لكم، كبيرةٌ، ولكن يمكن التغلّب عليها بفضل التزامكم. فلنحمل معًا هذه التحدّيات ليس بوصفها عبئًا نرزح تحت وطأته، لكن بوصفها قضيّة نبيلة يجب أن نربحها، وبربحنا إيّاها سنكون سعداء بحصاد المزيد من الإشعاع والفرح والمعرفة المبنيّة على أساس التميّز والانفتاح القائم على انتمائنا، وعلى التأصّل القائم على الخدمة من دون حدود. وعليه، سوف تبقى جامعة القدّيس يوسف بيتنا، وصورة لصراعنا من أجل لبنان الحريّات والعدالة والديموقراطيّة والودّ والعيش المشترك والوحدة المنتظرة.

فلتحيَ جامعة القدّيس يوسف ليحيا لبنان. أتمنّى للبنان ١٤٠ عامًا من السلام كما أتمنّى لجامعة القدّيس يوسف النموّ والازدهار.